

الانزياح الكمي والكيفي في  
تفسير عرائس البيان في  
حقائق القرآن

Quantitative and  
Qualitative deviation in  
the Interpretation of 'Arais  
al-Bayan on the Realities  
of the Qur'an'

إعداد

روى خير الله جولان

جامعة القادسية كلية الآداب

أ.د حسين عبيد شراد

جامعة القادسية كلية الآداب

Email: art.mas.arb0-٢٤@qu.edu.iq



## الملخص

إن مفهوم الانزياح يعد من المفاهيم الجوهرية في النقد الأدبي و الشعرية الحديثة ، وهو خرق للقواعد المعهودة للاستعمال اللغوي و قد استعمل في تحليل الخطابات التداولية و الانزياح الكمي بوصفه انحرافاً عن مبدأ الكمي والكيفي و يقوم على خرق القاعدة التي تنص على ان المتحدث يجب أن يقول من المعلومات ما هو مطلوب، لا أكثر و لا أقل في الخطاب التأويلي الصوفي و يقتصر المفسر الشيرازي في كتابه " عرائس البيان في حقائق القرآن " خرق هذا المبدأ لا بوصفه مخالفة بل بوصفه فعلاً ذا وظيفة كشفية ، تتبع من رؤيا ذوقية لا من تحليل عقلي.

**الكلمات المفتاحية:** الانزياح، الكمي، الكيفي، تفسير عرائس البيان

### Abstract:

The concept of deviation is considered one of the core notions in literary criticism and modern poetics. It entails a disruption of the conventional norms of linguistic usage and has been employed in the analysis of discursive texts. Quantitative deviation, in particular, is understood as a departure from both quantitative and qualitative communicative principles—specifically violating the maxim that a speaker should provide the precise amount of information required, neither more nor less. In the context of Sufi interpretive discourse, the exegete Al-Shirazi, in his work 'Arais al-Bayan fi Haqaiq al-Qur'an, does not perceive this breach as a transgression, but rather as an act with a revelatory function, originating from intuitive insight rather than rational analysis.

**Keywords:** deviation, Quantitative, Qualitative, Arais al-Bayan, Interpretation of 'Arais al-Bayan.

## المقدمة:

يمثل البحث في التفاسير القرآنية مغامرةً معرفية تستحق العناء العلمي، وشكل تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن أنموذجاً خصباً للدراسة والتنقيب من حيث اكتشافه لجمع آراء من تقدمه من أقطاب المتصوفة وأهل العرفان فكان تفسيراً عرفانياً موجزاً، فضلاً عن القيم التداولية الموجودة فيه والإشارية وغير ذلك، ومن هنا ولجت لاختيار هذا البحث بوصفه طريقاً لتلمس حقائق ما أريد الوصول إليها داخل التفسير، ويكتنف هذا العنوان اتساعاً في حدوده ولهذا اخترت ان يكون العنوان (الانزياح الكمي والكيفي في تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن للشيرازي).

ولقد قسمت البحث على مدخل احتوى مفهوم الانزياح وتحدثت فيه عن الانزياح من حيث المفهوم ثم أشرت سريعة لبعض المضامين العامة لهذا المصطلح النقدي، (Metwali, Khalaf, 2023) ومن ثم بينت في المبحث الأول الانزياح الكمي في النص التأويلي الصوفي المفهوم والإطار التداولي ولقد انطوى تحت هذا المبحث مضاميناً تدخل ضمن أبعاد نقدية تدخل ضمن حدودها الكمية ومثلت بنماذج قرآنية تدخل ضمن حدود تفسير الشيرازي الذي نحن بصدده، فضلاً عن دراسة تجليات الانزياح الكمي في تفسير عرائس البيان، وتناولت عدداً من الأمثلة القرآنية ضمن التفسير كاشفه عن الإفراط التأويلي والاختزال الدلالي، وتناولت المفارقة الرمزية تكديس الدوال دون ربط ظاهري وجسد ذلك في نصوص قرآنية، ودرس المبحث الثاني الجانب الكيفي تحت عنوان (الانزياح الكيفي في تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن) وبينت فيه أنواع هذا الانزياح وتطبيقات، ثم سجلت خاتمة البحث وقائمة للمصادر والمراجع.

## مُدخل:

يعد مفهوم الانزياح (deviation) من المفاهيم الجوهرية في النقد الأدبي والشعرية الحديثة، حيث يشير إلى خرق القواعد المعهودة للاستعمال اللغوي من أجل تحقيق وظيفة جمالية أو دلالية. وعلى الرغم من ارتباط هذا المفهوم في أصله بالخطاب الأدبي، فقد وُظف أيضاً في تحليل الخطابات التداولية، لا سيما في التفاسير الصوفية، التي تتجاوز التفسير التقريري إلى مقارنة رمزية رؤيوية وفي هذا السياق يبرز ما يمكن تسميته "بالانزياح الكمي" أي الإفراط والتفريط في إنتاج الخطاب التأويلي، بما يتجاوز مقتضيات الظاهر ويؤسس لمعانٍ جديدة تتبع من الذوق والذهنية الصوفية، ويعد تفسير "عرائس البيان في حقائق القرآن" للشيخ روزبهان البقلي الشيرازي (ت ٦٠٦هـ) مثلاً متفرداً لهذا النمط من الانزياح، إذ تتسم قراءته للنص القرآني بإفراط رمزي أو اختزال دلالي يخلل البنية الخطية للمعنى، ويُعيد تشكيله وفق منطق إشاري باطني. وبهذا يتحول التفسير من بيان يُقصد به الشرح إلى بيان يقصد به الكشف.

## المبحث الأول

### الانزياح الكمي في النص التأويلي الصوفي

#### المفهوم والإطار التداولي:

الانزياح الكمي بوصفه انحرافاً عن مبدأ الكم في نظرية "بول غرايس" يقوم على خرق القاعدة التي تنص على إن المتحدث يجب أن يقول من المعلومات ما هو مطلوب لا أكثر ولا أقل في الخطاب التأويلي الصوفي يتقصد المفسر خرق هذا المبدأ لا باعتباره مخالفة بل بوصفه فعلاً ذا وظيفة كشفية تتبع من رؤيا ذوقية لا من تحليل عقلي. في إطار دراستنا للانزياح الكمي في تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن للشيخ روزيهان البقلي الشيرازي نُقدّم قراءة تاويلية تبرز كيف يتجاوز الشيرازي مبدأ الكم في الاستلزام الحوارية عن طريق الإفراط أو الاختزال في تفسيره للآيات القرآنية<sup>1</sup>.

#### الاختزال الرمزي:

يُهمَل التفسير عناصر ظاهرية أساسية، ويكشف المعنى في رموز وإيماءات لا تُدرك إلا بالذوق أو المعرفة الصوفية. وهكذا لا يكون الانزياح الكمي خرقاً تداولياً عبثياً، بل وسيلة لإعادة تشكيل بنية المعنى وتأطير النص في ضوء التجربة الباطنية للمتلقى العارق.

#### ثانياً: تجليات الانزياح الكمي في تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن:

تبرز في تفسير الشيرازي أمثلة متعددة على الانزياح الكمي، نعرض منها ما يلي:

#### 1- الإفراط التأويلي (الاطناب الرمزي)

ومن أمثلته قوله تعالى: {اللَّهُ نُورٌ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}،<sup>2</sup> يقول

1- ينظر : منطق المحادثة، بول غرايس : 42 .

2- النور : 35 .

الشيرازي<sup>3</sup>: "أن الله سبحانه وتعالى، أوجد الكون من العرش إلى الثرى بالكاف والنون، وكان بين الكاف والنون مظلماً يظلمه العدم محجوباً عن نور القدم، لم ينكشف الكون هناك نور الكاف والنون فبقي كمشكاة بلا سراج، فأضاء الكون بنور الصفة". وأيضاً فيه إشارة أخرى في قوله تعالى: {اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ}، أراد بالسموات والأرض صورة المؤمن رأسه السموات وبدنه الأرض، وهو بجلالة قدره نور هذه السموات والأرض، ومن نوره الأرواح والأشباح ومن نوره العقل والقلوب ومن نوره تنورت هذه النيرات وأضاءت هذه الآيات أوجد الكون بنور القدم ونوره عن ظلمة العدم.

يتضح من ذلك أن الشيرازي قدّم تأويلاً مفراطاً يخرج من دائرة البيان إلى دائرة الكشف، حيث تتأكد من التأويلات الأنطولوجية فوق الآية، ليعيد توجيه المعنى من دائرة الحس إلى دائرة الروح، خالقاً بنية نصية تتجاوز مقتضى الكم التفسيري المعتاد هذا الاطناب يعد خرقاً لمبدأ الكم لكنه يبرر ضمن اقتصاد الذوق العرفاني حيث ينتظر القارئ أن يواكب إشارات تتجاوز المعجمية إلى الكشوفات<sup>4</sup>.

ومن أمثله أيضاً قوله تعالى: {قال هذا فراق بيني وبينك سأنبئك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا}<sup>5</sup>. ذكر الشيرازي: لما "عرف الخضر سر موسى وأنسه بجمال الحق، وأنه ممتحن في صحبته فأراد أن يريه من صورة العلم والعمل، وأيضاً عرف حدته، وخاف من جواب سؤاله الذي من عالم سرّ سر الربوبية العلية فخاف منه بأن يتناول على شيخ من شيوخ القصة، ..... لما علم الخضر انتهاء علمه وبلوغ موسى إلى منتهى التأدب، قال: {هذا فراق بيني وبينك}، لئلا يسأله موسى بعده عن علم أو حال فيفضح"<sup>6</sup>.

تري الباحثة أن في الآية المباركة، إعادة لكلمة (بين)، وهذا ما يخرج للتوكيد وفقاً لمبدأ الزيادة، وهو في مصطلح الاستلزام الحوارية خرق

3- تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن: 27/3.

4- ينظر: التفسير الصوفي للقرآن، لويس صليبا: 65.

5- الكهف: 78.

6- تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن: 438 / 2 - 439.

لمبدأ الكمية في الإجابة. وحتى في تفسير الآية، فقد طول المفسر بما كان له أن يقصر، في خوف الخضر من معرفة الاسرار من قبل موسى (عليه السلام).

فتعززت بذلك رؤية التداوليين في مفهوم خرق الكم؛ لأجل معرفة قصد المتكلم<sup>7</sup>، فرؤيتهم مرتكزة على وجود مجموعة من العلامات، يفهمها متلقي النص، وبوساطتها تكمن أهمية الخطاب، ومستوى نجاحه؛ لأن المتلقي سيقوم بتفكيك رسالة المتكلم، ويحلل شفراتها، ليتوصل لمقصديتها؛ لأن اللغة بنظر التداوليين، جسراً لتوصيل الأفكار بين المتكلم والمتلقي<sup>8</sup>.

## ٢- الاختزال الدلالي (التلميح الرمزي):

ومن أمثله قوله تعالى: {وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ} <sup>9</sup>، يفسرها الشيرازي بقوله: هو الجسد النفساني حين انقطعت عنه أنوار اليقين، فصار ظلمة منسية فأناب إلى نور القلب. وكل فتنة لو تراها ما ولدت الا من العشق واسقطه<sup>10</sup>، إذ يختزل الشيرازي البنية السردية للقصة في رموز سريعة تشير إلى التجلي الغفلة ثم الولاية، دون التطرق لتفاصيل القصة أو السياق التاريخي، وهذا الاختزال يحدث انزياداً كمياً بالنقص، يعوض بتكثيف رمزي غائر مما يصعب على القارئ فهم المعنى المقصود دون خلفية صوفية أو معرفية متخصصة<sup>11</sup>.

ومن أمثله في التفسير قوله تعالى: {وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْعَعِينَ} <sup>12</sup>، أولها الشيرازي بقوله: " جهنم النفس التي تاكل القلب إذا حجبه الوهم عن نور الحقيقة، فالعذاب يعود على البعد لا إلى النار

7- ينظر: التداولية عند العلماء العرب : 34.

8- ينظر: المعنى وظلال المعنى : 145، والمدخل إلى علم اللغة ، كارل ويتر ، ترجمة: سعيد حسن بحيري: 70- 71.

9- ص : 34 .

10- تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن : 194/3 .

11- ينظر : التفسير الصوفي : لويس صليبا : 65 .

12- الحجر : 43

المحسوسة " <sup>13</sup>، فهو بذلك يُبدّل المرجعية الدلالية من عقاب أخروي محسوس إلى عذاب نفسي روعي مما يُربك أفق انتظار المخاطب العادي.

ومن أمثله أيضاً: قوله تعالى: {إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يَغشى الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره} <sup>14</sup>. الخطاب في الآية المباركة بحسب الشيرازي: "لجذب قلوبهم بالمحبة ثم أشار إليهم بالألوهية لفناء الحدث في القدم ثم صرفهم من المحو إلى الصمود، ومن الحضور إلى الغيبة، ..... ثم صرفهم من الصفات إلى الأفعال كما صرفهم من الذات إلى الصفات كي لا تحرقوا في نور الألوهية، ألول خطاب القلب، والثاني خطاب الروح، والثالث خطاب العقل" <sup>15</sup>.

يتحقق الاختزال الدلالي، وهو نوع من أنواع خرق مبدأ الكمية في الاستلزام الحواري، بوساطة الحذف في الآية المباركة، (يغشى الليل النهار)، وحذف (يغشى النهار الليل)؛ لأن كلاهما مترابطين ومتداخلين، وعدم الذكر متروك لفهم القارئ، وإن في ذكره إسهاب مخل لمعنى النص، والحذف كما يقول مصطفى أمين: "يتحقق بكلمة، أو جملة، أو أكثر مع قرينة تعين المحذوف" <sup>16</sup>. والحذف في تفسير الشيرازي متحقق بوساطة الإضمار؛ لأنه يخاطب القارئ بعبارة (من المحو إلى الصمود، ومن الحضور إلى الغياب)، في إشارة منه إلى (الليل والنهار وتداخلهما)، واسترساله في ذكر الصفات والأفعال، سيحقق توأماً تحليلياً في عملية الربط عند المتلقي، ليكتشف مفهوم التعاون الحواري، وفهم خرق الكم في طرح الخطاب. وبما إن خرق الكم يتم عبر تقديم تأويل كلي مجرد دون مقدمات

13- تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن : 284/2 .

14- الأعراف: 54

15- تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن: 1 / 440 - 441.

16- البلاغة الواضحة البيان المعاني البديع، مصطفى أمين: 242.

مادية، أي أزاخة شاملة لمرجعيات النص نحو الباطن<sup>17</sup>، فإن الانزياح الكمي في تفسير عرائس البيان ليس مجرد خرق تداولي، بل هو تمثيل لانقلاب وظيفي في الخطاب التفسيري<sup>18</sup>، ففي حين يلتزم المفسر العقلي أو النقلي بمبدأ الحوار المعيارى، ينقض الشيرازى هذا الشرط " فيض لا يُحد " وقول لا يكتمل " مما يقدم قراءة فريدة ومميزة للنصوص.

تمثل نظرية الاستلزام الحوارى إحدى النظريات التداولية المهمة وقد تبلورت هذه النظرية على يد الفيلسوف الإنجليزى بول غرايس (P. Grice)، وتعد هذه النظرية تطوراً طبيعياً عن نظريات سابقة (بالأخص نظرية الأفعال الكلامية التي جاء بها أوستن، وطورها تلميذه سيول. أطلق غرايس على المبدأ التداولى للحوار اسم مبدأ التعاون (Cooperative Principle) وذلك في بحثه الموسوم بـ (المنطق والحوار) وقد صاغه على النحو الآتى " ليكن اسهامك في الحوار بالقدر الذي يتطلبه سياق الحوار، وبما يتوافق مع الغرض المتعارف عليه أو الاتجاه الذي يجري فيه ذلك الحوار " <sup>19</sup> والحوارية تقوم على مبدأ التعاون مع الغير في طلب الحقائق والحلول وفي تحصيل المعارف واتخاذ القرارات والتوجه بها إلى العمل<sup>20</sup>.

يرى غرايس أن القواعد ليست أعرافاً عشوائية، بل هي وسائل عقلية لتيسير التبادل التعاونى<sup>21</sup>، وهناك طريقة الاستدلال وهي عندما يُخل المتكلم عن قصد وعلانية بقواعد التخاطب أو كما يعبر ذلك غرايس عندما يستخف بهذه القواعد<sup>22</sup>، يتحقق (الاستلزام الحوارى) عن طريق خرق إحدى هذه القواعد أو عن طريق الالتزام بها.

17- ينظر : التفسير الصوفى : لويس صليبا: 267 .

18- ينظر : م. ن : 70 .

19- Paul Grice ، Studies in the way of word نقل استراتيجيات الخطاب مقارنة تداولية : 96 .

20- ينظر : أصول الحوار، طه عبد الرحمن : 38 .

21- ينظر : استراتيجيات الخطاب مقارنة لغوية تداولية : 121 .

22- ينظر : م . ن : 43 .

وهذا يدل على إن الاستلزام هو تأويل للكلام عن طريق التعرف على القواعد المتفرغة من مبدأ التعاون ويشترط غرايس لتحقيق (الاستلزام الحوارية)؛ أن يهتم المتكلم بـ (الشروط) التالية:

1. المعنى الحرفي للكلمات الواردة في القول.
2. مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة منه.
3. السياق اللغوي وغير اللغوي للخطاب.
4. عناصر أخرى تتصل بالخلفية المعرفية.
5. يجب على المساهمين في الحوار، أن يكونوا ذات معرفة بالشروط المذكورة، وأن يحدد أثناء عملية الحوار عن افتراض هذا المعطيات<sup>23</sup>.

وقد تفرع من هذا المبدأ (مبدأ التعاون) أربع مقولات، وكل مقولة إلى عدد من القواعد الفرعية الخاصة، وتأسياً بكانط سمي هذه المقولات<sup>24</sup>: الكم (QUANTITY)، والكيف (QUALITY)، والمناسبة (RELEVANCE) (والطريقة (MANNER)) سمي كانط هذه المقولات بالفئات، وهي وظائف عقلية تساعد على هيكلة معرفتنا للعالم عن طريق تركيب شتات المعارف.

ومبدأ التعاون يتأسس على أربع قواعد حددها فيما يلي:

1. **قاعدة الكمية:** Maxim of Quantity وترتبط بكمية المعلومات اللازم توافرها:
  - ◀ اجعل مساهمتك تتضمن أخباراً كافية.
  - ◀ لا تجعل مساهمتك تتضمن أخباراً كبر مما هو مطلوب<sup>25</sup>.
2. **قاعدة الكيفية:** (Maxim of Quality) وترتبط بقاعدة أساسية هي<sup>26</sup>:
  - ◀ اجعل مساهمتك صادقة وتتفرع عن هذه المسلمة قاعدتان

23- ينظر : التداولية عند العلماء العرب : 33- 34 ، وآفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر : 35 ، والمحاضرة مقارنة تداولية : حسن بدوح : 162 ، واللسان والميزان أو التكوثر العقلي : 238 .

24- موسوعة : الالكترونية ترجمة : ENCARTA - KANTEMANUEL ، 2005 .

25- ينظر : التداولية أصولها واتجاهاتها، جواد ختام : 101 .

26- ينظر : م . ن : 101 ، 102 .

هما :

■ لا تصرح بما تعتقد أنه كاذب.

■ لا تصرح إلا بما تستطيع البرهنة عليه.

3. قاعدة الملازمة: (Maxim of Relevance) أو (Relation).

◀ اجعل مساهمتك ملائمة.

4. مسلمة الجهة: (Maxim of Manner) وهي مسلمة تختلف عن

المسلمات السابقة في كونها لا تُعنى بما قيل، وإنما بكيفية التعبير عما ننوي التعبير عنه، وينص غرايس على وجود قاعدة هي:

◀ **كن واضحاً** (Beperspicuous) وتتفرع عن هذه المسلمة القواعد الآتية:

■ كن واضحاً.

■ ليكن تدخلك موجزاً.

■ اجتنب الالتباس والغاية من هذه المسلمات تتمثل في

ضمانات فعالية عالية للتبادل الكلامي<sup>27</sup>.

يكمّن الهدف من هذه القواعد في ضبط مسار الحوار عن طريق اتباع هذه القواعد مع المحافظة على المبدأ العام الذي يحكمها، والذي نصل إلى المقصد بكل وضوح<sup>28</sup>.

فتصبح بذلك المعاني صريحة، ولكن إذا خرق<sup>29</sup> المتحاورون أي قاعدة من هذه القواعد فإن الخطاب سينقل من المعنى الصريح (الظاهر) للملفوظ إلى المعنى الضمني (الخفي) وعلى المخاطب أن ينقل كلام محاوره من الظاهر إلى الباطن (ويتحقق الالتزام الحوارية)<sup>30</sup>.

27- مقال سابق : Logic and conversa : 47 ، إذ يوضح غرايس أن هناك قواعد أخرى مرتبطة بالموافقات الاجتماعية و الجمالية والخلقية من قبيل تحري الأدب أثناء المحادثة .

28- ينظر : الحوار ومنهجية التفكير النقدي : حسان الباهي : 127 .

29- خرق violation يعد مستوى اخر من مستويات توليد الدلالة عند جرايس يستطيع المتكلم من خلاله تضمين مجموعة من المعاني ويقوم المستمع باشتقاقها من الرسالة من خلال قرائن لفظية ومقالية ، وعلى المعارف المشتركة بين المتكلم والمستمع ، وهذه الخاصية موجودة عند العرب خاصة في كتب البلاغة العربية وترجم المصطلح خرق بالانجليزية لعدة مصطلحات منها : انتهاك وخرق ، وعدم احترام وعدم المراقبة. ينظر : الدلالات الاستلزامية في اللغة العربية والقواعد التخاطبية عند بول غرايس : راضي رشيد : 57 .

30- ينظر : نظرية المعنى في فلسفة اللغة بول غرايس، صلاح إسماعيل : 88

وقد تولى غرايس اهتمامه لقضايا الاستدلال وهي قضايا أهملها منظرؤا التداؤلية، وقء ءمكن غرايس من بلورة تصوريين منهجيين لهما أثر على سيرورة التأويل مدارهما حول القدرة على اكتساب حالات ذهنية من جهة، والقدرة على بناء (استدلال) محكم يحتاجه المتكلم لفهم الملفوظات داخل سياق كلامي معين<sup>31</sup>.  
على هذا الأساس أضى تأويل الملفوظات ذهنيأ يقوم على ثلاثة عوامل:

معنى الجملة، والسياق (اللساني وغير اللساني)، بالإضافة إلى مبدأ التعاون<sup>32</sup>.

**التكبر:** عرف التكبر لغةً في معجم لسان العرب: كبر: الكبير في صفة الله تعالى العظيم الجليل والمتكبر الذي تكبر عن ظلم عباده والكبرياء عظمة الله، ويقال: كبر بالضم يكبر أي عظم: فهو كبير، الكبر نقيض الصغر<sup>33</sup>.

**التكبر اصطلاحاً:** يطلق الكبر على: ((الحالة التي يتخصص بها الإنسان من اعجابه بنفسه وذلك بأن يرى نفسه أكبر من غيره))<sup>34</sup>.

وللتكبر أقسام ثلاثة رئيسية تتفرع منها الأقسام الأخرى وهي:

1. التكبر على الله: وسببه الطغيان والجهل المحض وذلك بإنكار الباري أو وحدانيته<sup>35</sup>.
2. التكبر على الرسل والأنبياء والأولياء (عليهم السلام): وذلك بعدم الإذعان لهم<sup>36</sup>.
3. التكبر على الناس: وذلك بأن يرى الناس أفضل منهم وأرفع شأنًا

31- ينظر : التداؤلية أصولها واتجاهاتها, جواد ختام : 99.

32- ينظر : م . ن : 99.

33- ينظر : لسان العرب , لابن منظور : 10/13.

34- مفردات ألفاظ القرآن : 697.

35- ينظر : جامع السعادات : 386/1 ومعرفة الأخلاق الإسلامية : 17 .

36- ينظر: جامع السعادات : 384/1 .

ومنزلة<sup>37</sup> .

ومن الأمثلة على ذلك استكبار إبليس، قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ} <sup>38</sup> .

ومعنى تفسير قوله تعالى عند الشيرازي قوله: "ألبس الملائكة بلباس العبودية، فأعجبوا بعبادتهم، وألبس آدم لباس الرؤية، وعرضه على الملائكة فرأوه ملتبساً بلباس الحق فحجلوا عن تعجبهم بعبادتهم فأمرهم الله بالسجود لآدم تغييراً لهم، وتعليماً بأن عبادتهم لا تزيد بالربوبية ولا تنقص عن الألوهية؛ لأن الملائكة رأوا فيه سرّ الله تعالى وعليه لباس الله مصوغاً بصيغ الله، ولم ير إبليس ما كشف لهم، فأبى واستكبر من غضب الله" <sup>39</sup>. فكان تكبر إبليس تكبراً على الله تعالى <sup>40</sup>. عصياناً لأمره وعدم التسليم لحكمته وإرادته، فالمعنى المستلزم هو الخرق والعصيان؛ لأن إبليس كان يخفي كفره ولكنه أضمره أي استوطن الكفر باطنه <sup>41</sup> .

والأسلوب البلاغي في (فسجدوا) أفادت (الفاء) أنهم سارعوا في الامتثال ولم يثبطوا فيه، وفي الآية إيجاز بالحذف أي فسجدوا له وكذلك (أبى) مفعوله محذوف أي أبى السجود <sup>42</sup>.

تري الباحثة عن طريق ماسبق؛ أن مبدأ الكم في تحليل النصوص ووضعها، مبادرة مهمة، تسهم في توطيد العلاقة التواصلية، ما بين المتكلم والمتلقي؛ لأن عملية الوضع ستخضع للعناية بمفهوم الكمية في إنتاج النصوص لخلق أجواء موضوعية هدفها جذب القارئ نحو التركيز في مقاصد المتكلم، وفي الوقت ذاته تتحقق المشاركة التعاونية في عدم خمول ورفض المنتج الأدبي بصورة عامة، والتعالق بمخرجات الخطاب بصورة خاصة.

37- الذنوب الكبيرة : 105/2، و أخلاق أهل البيت : 43 .

38- البقرة : 34 ، وتكررت في سورة الكهف : 50 والإسراء : 61 .

39- تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن: 43/1 .

40- ينظر : الميزان : 8 / 35 .

41- ينظر: الميزان : 188/1.

42- ينظر : صفوة التفاسير : 51/1 .

## المبحث الثاني

### الانزياح الكيفي في تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن

#### أولاً: تأصيل مفهومي للانزياح الكيفي :

يقصد بالانزياح الكيفي في المقاربة التداولية التحول في طبيعة الخطاب ومقامه ووظيفته ، لا في كمية المعلومات فحسب ، كما هو الحال في الانزياح الكمي ، إذ أنه انتقال في نوعية المعنى أو لونه التداولي ، بحيث يُبدّل نوع الخطاب من تقريرى إلى رمزى أو من تفسيري إلى إشراقي أو من توضيحي إلى إنفعالي<sup>43</sup> .

وقد نبّه دان سبيربر ودييردرى ويلسون في إطار نظرية الملائمة إلى أنّ التحول في كيفية المعالجة المعرفية ينتج أثراً تداولياً مضاعفاً يفتح أفق التأويل أمام طيف من الاحتمالات لا أمام جواب وحيد<sup>44</sup> بهذا المعنى فالكيفية لا تتعلق بكمية القول بل بطبيعته النوعية : رمزية ، إشارية ، وجدانية إلخ....

#### ثانياً: أنواع الانزياح الكيفي في الخطاب التفسيري الصوفي :

يمكن تصنيف الانزياح الكيفي في الخطاب التفسيري الصوفي كتفسير الشيرازي إلى أنواع تداولية متداخلة :

1. التحويل من خطاب معرفي إلى إشراقي : حيث تُستبدل أدوات الفهم المنطقي بأدوات الكشف .
2. التحويل من دلالة لغوية إلى دلالة عرفانية : إذ لا تُؤخذ الألفاظ بمعناها المعجمي بل بإشاراتها الباطنية
3. التحويل من المخاطبة البشرية إلى مناجاة ربانية أي تحول الخطاب من التفسير للناس إلى البوح مع الله<sup>45</sup> .

43- ينظر : علم النص، فان ديك : 174 .

44- Communication and Cognition : Sperber & Wilson ،Relevance Blackwell ، 1995 .، pp . 147 - 144

45- مقاربات في فلسفة التأويل الوصفي، فراس السواح : 99.

### ثالثاً: تطبيقات من تفسير الشيرازي :

في ما يذكره اللع (عز وجل) في محكم كتابه، من البيان إلى البوح، وفي ما يتعلق بعلم الغيب له وحده (جل جلاله)، في قوله تعالى : {وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا} <sup>46</sup> الذي فسره الشيرازي بقوله: " علمه أسماء الأسرار وصفات الأذكار وحروف التجلي ، وكلمات القرب فنطق قبل الحرف وأدرك قبل العقل وسجدت له المعاني كما سجدت له الصور " <sup>47</sup> . فالشيرازي لا يفسر معنى الأسماء اصطلاحياً (كما في التفسير النقلي أو اللغوي)، بل يحوِّله إلى مقولات صوفية تتعلق بالكشف . فيتحقق بذلك انزيماً كيفياً من التفسير المعرفي إلى التفسير الذوقي، حيث تنقلب الأسماء إلى رموز للتجلي الباطني؛ لأن القارئ لا يتلقى معلومة بل أثراً يفترض أن يُذاق .  
ومن الأمثلة أيضاً: من الحجاج إلى الذوق . قوله تعالى: {وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ} <sup>48</sup> ، فالآية بحسب التفسير مدار الدراسة: " إنما السرُّ في حضرته والجهر سواء فإن الصوت يُسمع والهمس يُرى والظاهر يُكتب و النية تُفصح ، فلا تكلفن نفسك سرا فالستر إنما يكون عن سواه " <sup>49</sup> .

فالشيرازي هنا يبدل مقام التفسير من التحذير الظاهري إلى الانكشاف الباطني . وتتبدل طبيعة الآية من خطاب تقريرى إلى رؤية عرفانية ، تُفصح عن العلاقة بين العارف وربّه لا بين العبد وذنبه ؛ لأن الانزياح الكيفي يكمن في نوع المعنى المنتج لا في حجمه أو طوله . ومن أمثلته: في التفسير للناس إلى المناجاة، قوله تعالى : {فَاذْكُرُونِي

46- البقرة: 31 وينظر للاستزادة: الأنعام: 83، البقرة: 17، مريم: 2، البقرة: 211، الروم: 60، لقمان: 20، البقرة: 119، الأنعام: 13، النحل: 1، الكهف: 65، الأنعام: 71، الصافات: 1-3، الحج: 28، المائدة: 2، التوبة: 71، العصر: 1-3، الكهف: 95، طه: 29، 32، الحشر: 9، الانفال: 46، الصف: 4، القصص: 26، العنكبوت: 43، الأنعام: 76، النور: 22، النمل: 20، ال عمران: 35، الفتح: 1-29، الأنعام: 149، المائدة: 75، النساء: 146، المائدة: 32، البقرة: 285، البقرة: 11، البقرة: 25-26، الذاريات: 50، الشرح: 6.

47- تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن: 43/1 .

48- الملك: 13 .

49- تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن: 440/3 .

أذْكَرُكُمْ} <sup>50</sup>. بحسب الشيرازي: " فأذكروني بلسان الأسرار أذركم بكشف الأنوار واشكروا بخالص العبودية ، وقيل (فأذكروني) على الدوام ليطمئن قلوبكم بي ؛ لأنه يقول : { أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ } <sup>51</sup> أذكروني فإني مشتاق إليكم قبل أن تشتاخوا إلي <sup>52</sup>.

وعليه فإن هذا ليس تفسيراً بمعناه الاصطلاحي، بل تحول النص إلى دعاء أو مناجاة يُعيد تعريف العلاقة بين الذات الإلهية والمريد ؛ لأن النص القرآني هنا لم يعد مجالاً للشرح ، بل مرآة للبحث العاطفي ، وهذا أرقى أشكال الانزياح الكيفي : التبديل الكامل في طبيعة الفعل الكلامي .

وأرى أن المفسر الشيرازي كان يفسر الآيات الظاهرة إلى معاني عميقة ذات رموز وإشارات فهو محب للحق الاسم الذي يطلق على الله نجد الإنزيادات عنده لا تخرج عن الشريعة ومفسرة بطريقة صوفية ذوقية من قبل المفسر الشيرازي .

ومن أمثلته أيضاً قوله تعالى : { إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ } <sup>53</sup>. فسرهما الشيرازي بقوله: <sup>54</sup> الطيبات ما قسم لأهل الإيمان في سابق علم الأزل نبعث الرضا من معاشهم الذي لا يذم تناولها نفس العلم بحال وهو ما يتفرسه المؤمن بنور الإيمان قبل وقوعه في أوان الحاجة وأيضاً الطيبات التي تهيج المؤمن إلى ما يرضاه الله من المعاملات السنية والأخلاق المحمودة وترك مألوفات النفس ومتابعة الشهوة ، وأيضاً الطيبات ، ما يحصل من الغيب بلا تصنع الآدميين وإشارة ،

50- البقرة : 152 .

51- الرعد : 28 .

52- تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن : 1 / 67 ، 68 .

53- البقرة : 174 .

54- تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن : 1 / 73 .

إلى ذكر الحق لم يشب بذكر الخلق ، وهو رؤية المذكور يبعث طيران الأرواح بقوة المواجه في بساتين الصفات .

هذا ما ورد عن تفسيره الصوفي الإشاري أما ما فسره المفسرين أن قوله تعالى : {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ} تعريض لأهل الكتاب، إذ عندهم شيء كثير من المحللات الطيبة التي حرما كبرائهم ورؤسائهم في العبادات ، وفي الآية من الدلالة على تجسيم الأعمال وتحقق نتائجها مالا يخفى فإنه تعالى ذكر أولاً أن اختيارهم الثمن القليل على ما أنزل الله هو أكل النار في بطونهم ثم بدل اختيار الكتمان وأخذ لثمن القليل .<sup>55</sup>

فالانزياح في الآية : {أَوْلَيْكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارُ}، هو الانزياح الكيفي ، غرضه بيان العاقبة ، المعنى أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا ثمن كتمانهم أي التصريح بحقيقة ما أخذوه لى التعبير بعاقبة أخذه وهي النار ، والاستلزام يفهم من سياق الآية .

**ومن أغراض الانزياح الكيفي في القرآن الكريم هي المجازاة :**  
والمجازاة لغةً : مقابلة الفعل بآخر يكافئه وتستعمل في الخير والشر والمقصود من الانزياح الكيفي بغرض المجازاة : العدول عن ذكر حقيقة الشيء إلى آخر مقابلة ومكافئة لمعنى آخر مذكور .

ومن أمثلتها: قوله تعالى : {وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ} (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ} <sup>56</sup> معنى الآيتين يفسرها الشيرازي في كتابه عرائس البيان قال : وما عند الله من كشف مشاهداته <sup>57</sup> ، وظهور أنوار وصاله ، وعجائب علومه الغيبية وأحكامه المخفية للذين شاهدوا الله وعليه يتوكلون في امتحانه إياهم ، فهو بجلاله ورحمته يخرجهم من لججها إلى سواحل وصاله ، حتى لا يفنوا فيه ، ويتمتعون بجماله في بقاءه .

55- ينظر : الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي : 426/1 .

56- الشورى : 39 - 40 .

57- تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن: 270/ 3 .

## نلاحظ الانزياح : {وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا} .

نستشف من ذلك أن الانزياح الكيفي في خطاب الشيرازي لا يقاس بمقدار الشرح ، بل بنوعية القول: من خطاب الناس إلى خطاب الله من ظاهر اللغة إلى باطن السر من العقل إلى القلب، وإذا كان الانزياح الكمي يُخل بمعيار الاقتصاد التداولي ، فإن الانزياح الكيفي يُبدل المعير نفسه، فالنص التفسيري لم يعد وسيلة للبيان ، بل أصبح عتبة للرؤيا .

وترى الباحثة أيضاً إن لتحليل الانزياح الكيفي في تفسير عرائس البيان، كيف أن المفسر الشيرازي يحول النص القرآني الظاهر إلى مجال غني بالرموز والمعاني الباطنية ، من خلال هذا النهج يمكن للقارئ أن يُعيد اكتشاف النصوص القرآنية بعيون جديدة تركز على التجربة الروحية والمعرفة الذوقية .

## الانزياح الكيفي والغرض البلاغي هو المجازة ، والمعنى المستلزم جزء السئية بمثلها .

### مدخلاً يوضح معنى الانزياح الكيفي:

قاعدتا كيف الخبر ، القاعدة الثانية من القواعد التخاطبية التي جاء بها (غرايس) في مبدئه في التعاون وهذه القاعدة تنص على :  
A. لا تقل ما تعلم كذبه .

B. لا تقل ما ليس لك عليه بينه .

لقد أريد بهذا القواعد التخاطبية ، أن تنزل منزلة الضوابط التي تضمن لكل مخاطبة إفادى تبلغ الغاية في الوضوح بحيث تكون المعاني التي يتناقلها المتكلم المخاطب معاني صريحة و حقيقية ، إلا أن المتخاطبين قد تقع مخالفة ، ما أسماه الأصوليون بـ ( المنطوق ) وإن خرجنا عن هذه القواعد حصلنا فائدة بعيدة هي .

وإن مقامات الكلام تكون بحسب مقاصد المتكلم وأغراضه وقد تبنته السكاكي ( ت ٦٢٦هـ ) إلى هذا التعامل ليبين في كتابه (مفتاح العلوم) ، قال : " مقامات الكلام متفاوتة " ولا بد من الاحساس بالسباق النصي التداولي ، يوصفه تقنية مهمة تُسهّم في التعبير عن المقاصد

والأغراض التواصلية التي انجرت للتعبير عنها قال تعالى: {وَأَتَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَّ} <sup>58</sup>، فيما يخص معيار الصدق فلا نحكم على قائل هذا الخطاب الذي هو (الله) على أنه كاذب، ذلك إنه هو الذي يحدد مقاييس الصدق والكذب وقاعدة الكيف تسعى إلى منع ادعاء الكذب أو إثبات الباطل <sup>59</sup> والمخاطب في هذه الآية هو الله سبحانه وتعالى فهو يتوفر عليه شروط القاعدة وهي (لا تقل ما تعلم خطاه)؛ لأن لفظ الجلالة (الله) فهو صادق في أقواله وأفعاله فلا نحكم عليه أنه كاذب؛ ذلك لأنه هو الذي يحدد مقاييس الصدق والكذب وهذا ما دعت إليه قاعدة الكيف وإن كان الله قد أحلَّ البيع وحرم الربا فهذا يعني لأنه يعرف أن البيع يعود على البشرية بالخير، على خلاف الربا الذي يستعمله صاحبه لأكل أموال الناس ونهبها بسبب الطمع والجشع.

وهذه الطرق بالانزياح بالقاعدة؛ توجب على الآخر أن يصرف كلامه محاوره عن ظاهرة إلى معنى خفي يقتضيه المقام، وهذا المعنى يحصل عن طريق الاستدلال من المعنى الظاهر ومن القرائن ما يقصد تعبيره بـ (الاستلزام التخاطبي).

ومن الأمثلة القرآنية على ذلك: قوله تعالى: {رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ} <sup>60</sup>. الخطاب الإلهي إشارة لها أرق من هذه يقال طلب موسى (عليه السلام) الرؤية وهو يصف التفرق فقال (أرني أنظر إليك) فأجيب بـ (لن) عين الجمع أتم من عين التفرقة فزع موسى (عليه السلام) حتى خرَّ صعقاً، والجبل يصير دكا، ثم الروح بعد وقوع الصعقة على القلب يكشف بما هو حقائق الأحدية وكون الحق لموسى (عليه السلام).

ويقول الشيرازي في تفسيره معنى قوله تعالى: {رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ} أضاف رؤيته إلى الله لا إلى نفسه حيث قال (أرني) فسأل منه تعالى

58- البقرة: 207 .

59- ينظر: الاستلزام الحواري في التداول اللساني، العياشي أدراوي: 99 .

60- الأعراف: 143 .

عيناً من عيونه يراه بها وبها يرى عين العين ولكنه أكنه ، وقدم القدم وسر الذات وصدق الله بهذا الخطاب وكيف يراه بين محجوبه بعوارض البشرية رآه به لا بالغير .

**وللانزياح الكيفي مجموعة من الخصائص الرئيسية منها: التخصيص أو التحول والخروج**، وردت في كتاب " مجاز القرآن " لأبي عبيده ( ت ٢١٠هـ) حيث قال : " ففي القرآن ما في الكلام العربي من الغريب والمعاني ومن المحتمل من مجاز ما اختصر ومجاز ما حذف و ما جاء لفظه لفظ الواحد ووقع على الجميع ومجاز المقدم والمؤخر " <sup>61</sup>

**والتخصيص** : هو كون اللفظ خاصاً بشيء واحد كالإطلاق اسم الشخص على القبيلة تحو ربيعة وقريش <sup>62</sup> . ويأتي تخصيص للقصر قوله تعالى : {ثُوْرٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ} <sup>63</sup> والقصر بإنما قال تعالى: {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} وفسر قوله تعالى : {ثُوْرٌ مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخِيَامِ}.

فسر الشيرازي قوله تعالى في (سورة الرحمن) قال: إن معنى الآية هو وصف الله سبحانه حوارى جنانه التي خلقهن لخدمة أوليائه ، وألبسهن لباس نوره وأجلسهن على سرير أنسه في جمال قدسه ، وضرب عليهن خيام الدر والياقوت ، ينتظرن أزواجهن من العارفين والمؤمنين ، ثم وصفهن الله بأنهن قاصرات الطرف لم يصل اليهن مساً الاعتبار هنا انزياح كيفي بالطريقة البلاغية القصر .

**وأسلوب الإيضاح** : ويُقصد به لتقرير المعنى في ذهن السامع يذكره مرتين ، مرة على سبيل الإيهام والإجمال ، ومرة على سبيل التفصيل والإيضاح فيزيده بذلك نبلاً و شرفاً كقوله تعالى : {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ، تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ

61- تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن : 380 / 3 .

62- الرحمن : 71

63- فاطر : 27 .



خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ<sup>64</sup>. فالآية عند الشيرازي في معنى كلام الله قال: بعضهم جددوا ما ظهر لهم من صحة نبوة النبي محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فانكروه بالسنتهم ، وأعرضوا عنه بنفوسهم ، فقيّض الله لقبوله أنفساً أوجدها على حكم السعادة قلوباً زينها بأنوار المعرفة وأسرارها نورها بالتصديق فبدلوا له المهج والأموال كالصديق والفاروق واجلّة الصحابة<sup>65</sup> وذكر في كتابه المفسر لما أراد الله سبحانه وتعالى أن يظهر لعرائس مملكته ولخاصة أوليائه من قدسيه نور سره الأول ، وإنسان عينهم الكامل المكمل وهو النبي المصطفى الطاهر الأمد سماه في أهل السموات باسمه (أحمد) أظهاراً لمنزلته عند ربه ، انزياح كيفي عند المفسر الشيرازي يظهره من معنى كلام المفسر.

64- الصف : 10 - 11.

65- تفسير عرائس البيان في حقائق القرآن : 402/3 , وذكره الشيرازي في الهامش رقم (1) ، 422.

-66 Metwali, Khalaf ,(2023) "Renewing the advocacy discourse and confronting intellectual deviation is a critical study.", INTERNATIONAL MINNESOTA JOURNAL OF ACADEMIC STUDIES, , (VOL,1),(ISSUE,3), PP:360-301

## الخاتمة

ارتأت هذه الدراسة تحليل الخطاب في النصوص التفسيرية للشيخ المفسر الشيرازي تحليلاً تداولياً يكشف عن الاستلزام الحواري، فأمكن في الوصول إلى عدة من النتائج أهمها ما يأتي:

1. الاستلزام الحواري كأداة تفسيرية: استطاع الشيرازي من استثمار مبادئ الاستلزام الحواري وبخاصة تلك المنبثقة عن مبدأ التعاون لغرايس، لتوسيع الدلالة القرآنية فعبر الخروج عن القواعد (كماً، كيفاً، علاقة، طريقة)، يُحدث نصه بحوار ضمني يستثمر في الترتيب اللغوي والتأويلي، مما يؤدي إلى اتساع المعنى القصدي مع مراعاة كشف المعنى عن طريق التواصل غير المباشر والضمني.
2. تكشف تحليلات الشيرازي في عرائس البيان في حقائق القرآن عن وعي المفسر العميقة بأليات إنتاج في النص القرآني، فلاستلزام الحوارية عنده ليس مجرد دلالة ضمنية بل مقولة يفهم من خلال السياق أو المعنى التواصلية الذي ورد فيه.
3. الربط بين السياق الدلالي والمقام القرآني تتكامل وجهة الاستلزام الحوارية مع تحليل السياق والمقام البلاغي مما يعزز دور التمازج بين النص والتفسير ويبرز دور القارئ في اكمال البناء الدلالي.



الجامعة الإسلامية بنيسوتا  
Islamic University of Minnesota  
المركز الرئيسي IUM